رؤية في ختم النبوة من منظور الفكر الإسلامي المعاصر

المدرس الدكتور حسام علي حسن العبيدي
جامعة الكفيل - النجف الأشرف
Dr.hussam.ali@alkafeel.edu.iq

A Vision in the End of Prophethood from the erspective of Contemporary Islamic Thought

Lec.Dr. Hussam Ali Hassan Al-Obaidi
Al - Kafeel University - Najaf

الملخّص :

إن خاتمية النبوة والرسالة وانقطاعها بعد نبوة نبي الإسلام محمد (ﷺ) وإن شريعته خاتمة الشرائع ضرورة من ضرورات الإعتقاد الإسلامي التي لا يختلف فيها اثنان من المسلمين ، بل حتى غير المسلمين يعرفون أنها من الواضحات في الدين الإسلامي ، ولكن مع إزدياد وإطراد التطور المتسارع في مناحي الحياة المختلفة في العصر الحديث ظهرت الحاجة إلى الإجابة عن أسئلة تخطر في الأذهان بإلحاح ، من قبيل : مع هذا التغير الحضاري والتطور الهائل والحاصل على الأصعدة المختلفة ألم تكن المجتمعات البشرية بحاجة ماسة للوحي الإلهي مجدداً ؟

يحاول هذا البحث تقديم رؤية جديدة في ختم النبوة ترتكز أساساً على رؤية مطهري بعد ذكر مقدمات مهمة لفهم الخاتمية ، وإضافة بيان يُفسر طبيعة النضج والتكامل للنوع البشري ، إذ لا يخفى أن التسليم بحصول التطور والمسيرة التكاملية للبشرية جمعاء لا يكفي وحده لتقديم فهم دقيق عن الحكمة في انقطاع النبوة وختمها ، بل لابدّ من معرفة طبيعة النضج الذي وصلت إليه البشرية ، وهذا صلب المسألة وقوامها ، ويمكننا القول إن عمدة هذه الرؤية التي حاول البحث تقديمها هو تفسير النضج والتكامل البشري بأنه تكامل في إدراك العقل العملي للنوع البشري والمتحقق في مصداقه الأكمل والأتمّ الرسول الأكرم (ﷺ) .

الكلمات الدلالية : التعبير القرآني ، ختم النبوة ، الفكر الإسلامي ، العقيدة الإسلامية ، محمد إقبال ، مطهري .

Abstract:

It is a necessity of the Islamic belief in which no two Muslims differ that the prophethood and message are concluded after the Prophet of Islam Muhammad (peace and blessings of Allah be upon him and his progeny). Moreover, it is also a necessity of the Islamic belief that Prophet Muhammad's law is the conclusion of the laws. This is also a well-known fact to non-Muslims. However, the rapid development in the various fields of life in the current era arose the need to answer urgent questions such as: Are not human societies in a dire need of the divine revelation again especially with this civilizational change and the tremendous development taking place at various levels ؟

The present paper aims at presenting a new vision in the end of the prophethood based mainly on the vision of Mutahhari after mentioning important premises for understanding the end, and adding a statement explaining the nature of maturity and integration of the human beings. It is clear that the recognition of the evolution and the integrative path of all mankind is not sufficient alone to provide an accurate understanding of wisdom in the conclusion of prophethood, rather it is necessary to know the nature of the maturity that humanity has reached. This is the core of the issue and its foundation. It can be mentioned that the pillar of this vision that the research aims to present is the interpretation of human maturity and integration as an integration in the practical awareness of the human beings, which is verified in its most complete credibility: The Prophet Muhammad (peace and blessings of Allah be upon him and his progeny .

Key word : Quranic expression , seal of prophecy , Islamic thought , Islamic faith , Muhammad Iqbal , Motahhari .

المقدمة :

إن العقيدة الإسلامية بخاتمية النبوة والرسالة أمر واضح وضرورة من ضروريات الدين لا تحتاج التنظير الفكري والكلامي ــ في مقام إستقصاء الحكمة المحتملة من إختتام النبوة ــ حتى مع تطور علم الكلام وإتساع أبحاثه في القرون المتأخرة عن مراحل بداياته التأسيسية وظهور مدارسه ، ولكن مع إزدياد وإطراد التطور المتسارع في مناحي الحياة المختلفة في العصر الحديث ظهرت الحاجة إلى الإجابة عن أسئلة تخطر في الأذهان بإلحاح ، من قبيل : مع هذا التغيّر الحضاري والتطور الهائل والحاصل على الأصعدة المختلفة ألم تكن المجتمعات البشرية بحاجة ماسة للوحي الإلهي مجدداً ؟ مع ما تفرزه التطورات من أنماط ثقافية وحضارية وحياتية عامة تبدو في صورة مغايرة لما كانت عليه إبّان عصر البعثة النبوية الخاتمة !

الأمر الذي جعل المفكرين الإسلاميين على المحك في صياغة تنظيرية تفسّر مفهوم الخاتمية ، وقد انصب اهتمام أغلبهم على التطور العقلي للنوع البشري ، إذ إنّ فهم طبيعة هذا التطور له مدخلية في فهم معنى الخاتمية . وقد أُجريت دراسات عدة تتناول آراء المفكرين بالمسألة عرضاً و مقارنةً وربما نقداً في بعض الأحيان ، ولكن هذا البحث لم يكن معنياً باستقراء الرؤى ، إنما سيركز بشكل أساس على نموذجين منها ؛ الأولى هي رؤية محمد إقبال اللاهوري (١٨٧٧ - ١٩٣٨م) بوصفها الرؤية الأولى في هذه المسألة والتي فتحت أفق البحث فيها ، والثانية هي رؤية مطهري (١٩١٩-١٩٧٩م) والتي تبدو أكثر تفصيلاً ، وسترتكز عليها الرؤية المتبناة في هذا البحث مع إضافة تتمة لبيان طبيعة التكامل البشري .

إن البحث في مفهوم الخاتمية لم يكن بحثاً ترفياً في مسألة إعتقادية ضرورية ، بل هو من وظيفة علم الكلام ــ الجديد منه تحديداً ــ للقيام بمهامه الثلاث في بيان وإثبات العقائد وردّ الشبهات عنها ، فحريّ بالفكر الإسلامي المعاصر أن يتصدى لها ويُسلط الضوء عليها بعد طرو الحاجة للتعرض إليها ، لا سيما في ظروف العصر الراهن مع ما يواجهه من تحديات على أصعدة مختلفة .

أولاً ــ معنى الختم لغة واصطلاحاً

١. الختم في اللغة

(الخاء والتاء والميم) مادة لأصل واحد (ختم) يكون ضداً للإبتداء والشروع ، فهو بمعنى بلوغ آخر الشيء وإتمامه وقطع فعله و الإنتهاء من عمله ، والخاتِم بكسر التاء اسم فاعل مشتق منه لأنه به يُختم ، أما الخاتَم بفتح التاء فهو ما يلبس زينة في أصابع اليد وسُميَ بذلك لأنه كان من المعتاد أن يحمل نقش الإمضاء والذي به ينقش المكتوب للدلالة على بلوغ آخره وإمضاء ما فيه[١] .

٢. الختم في الاصطلاح

أما في الاصطلاح فإن ختم النبوة تعني انتهاء النبوة وانقطاعها واكتمال سلسلة الأنبياء ببعثة آخرهم النبي الأكرم محمد (ﷺ) فهو خاتَم النبيين كما صرح القرآن الكريم بقوله تعالى :﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[٢] ، والقراءة المشهورة بفتح التاء (خاتَم) ، إلا أنه على قراءة أخرى كُسِرَت التاء (خاتِم) ، وعلى كلا القراءتين فالمعنى أنه (ﷺ) الفرد الأخير من سلسلة الأنبياء وبه تنتهي النبوة ، ولكن (خاتَم) بالفتح آكد في الدلالة على ختم النبوة من (خاتِم) بصيغة اسم الفاعل ، فالخاتَم اسم مزيد من الختم يدلّ على من تحققت به صفة الختم وفيه مبالغة زائدة ، بينما اسم الفاعل خاتِم يدلّ على ذات تلبست بمبدأ الختم ، ولا تخفى المبالغة الزائدة في الاسم المزيد في الدلالة على الخاتمية وتحققها ، بالمقايسة مع دلالة اسم الفاعل عليها [٣].

لذا فالمعنى الإصطلاحي يشير إلى أن شريعة النبي محمد (ﷺ) ورسالته هي الخاتمة للشرائع والرسالات ، والإعتقاد بهذه الخاتمية من ضروريات الدين الإسلامي وأصل من أصوله الواضحة جداً يعرفها المسلمون وغيرهم ، فكلّ من يعرف عن الإسلام شيئاً يعرف أنه يعلن كونه خاتمة الأديان [٤].

هذا وقد صرّح النبي الأكرم (ﷺ) أيضاً بأنه لا نبي بعده في موارد عدّة ذكرتها كتب الحديث الشريف المعتبرة عند المسلمين وعلى اختلاف مناهجهم واتجاهاتهم وحسبنا ها هنا أن نذكر واحداً من الأحاديث المتواترة والذي اتفقت الأمة على ثبوته وصحته ، ألا وهو حديث المنزلة ، إذ قال (ﷺ) لعليّ (عليه السلام) : ((أما ترضى أن تكون مني بمنزلة

هارون من موسى ، إلا أنه لا نبي بعدي ، أو ليس بعدي نبي ، أو لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي))[٥].

وعلى الرغم من ذلك فقد شهد التاريخ ظاهرة إدعاء النبوة بعد نبوة نبي الإسلام (ﷺ)، وكان على الأدعياء وأتباعهم إثارة التشكيك في الدلالة الصريحة للآيات الكريمة على ختم النبوة وإيصاد بابها ، لإثبات إدعائهم في نفي خاتمية الرسالة الإسلامية[٦]، وانبرى المفسرون والمتكلمون لردّ الشبهات المثارة مستعينين بما أطبقت عليه كلمات أئمة أهل اللغة في فهم دلالة آية خاتم النبيين ـ وهي الأصرح في ختم النبوة ـ وغيرها من الآيات الأخرى ، وبالأحاديث الشريفة المتواترة منها أو المستفيضة في بيان ذات المعنى[٧].

ومن جهة أخرى انصبت جهود فكرية مختلفة الإتجاهات للإجابة عن تساؤلات حول الخاتمية قد ترد للأذهان بعيداً عن مسألة إدعاء عدم غلق باب النبوة و انقطاعها ، فبعضها ليس تشكيكاً وتوهيناً لأصل ثابت وضروريّ من ضرورات الإسلام ، بل هي تساؤلات حقيقية وما ذكر في توضيح وبيان إجاباتها أسهم في ترسيخ فهمٍ عميقٍ لعقيدة الخاتمية[٨].

ويبدو أن البحث في الخاتمية له مستويان أو مقامان ؛ الأول هو مقام الإثبات ، بمعنى الكشف عن أدلة المسألة وإحكام الإستدلال عليها وردّ الشبهات عن براهينها ، والثاني هو مقام الثبوت ، بمعنى البحث عن حقيقة الخاتمية وواقعها ، ومن المعلوم أن الحقائق الدينية وملاكات صفاتها لا يمكن للعقل البشري أن يدركها بتمامها إلا إذا صرّح بها النص الديني ، لذا فإن أيّ تنظير أو تفسير لطبيعة مفهوم الخاتمية لا يعدو كونه إحتمالاً وسعياً وراء الحكمة من ختم النبوة ، ومهما اعتمد على قرائن عدّة من النص الديني وغيرها ، وليس إدراكاً للعلة التامة للخاتمية[٩]، فإنه تبارك وتعالى أعلم حيث يجعل رسالته ومتى ولماذا يختتمها إذ قال في كتابه المجيد :﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ ﴾[١٠].

ثانياً ــ رؤية إقبال في ختم النبوة

كتب المفكر الإسلامي محمد إقبال اللاهوري[١١] (١٨٧٧-١٩٣٨م) في كتابه (تجديد التفكير الديني في الإسلام) عن فكرة ختم النبوة بوصفها إحدى الأفكار الإسلامية والعقائد الضرورية في فهم الثقافة الإسلامية ، مكرّساً جهده في إيجاد تفسير لطبيعة

النضج والتكامل الذي وصلت إليه البشرية إبان البعثة النبوية الشريفة لخاتَم النبيين (ﷺ) ، والذي بموجبه صارت البشرية في طور وعهد لا تحتاج معه إلى نبوة جديدة .

يرى إقبال أن البشرية مرّت بمرحلتين رئيستين ؛ الأولى يسميها العالم القديم والثانية يسميها العالم الحديث ، في العالم القديم البشرية مرّت بمرحلة طفولة إلى أن تطورت القوة الروحانية وصولاً إلى ما يسميه بالوعي النبوي ، أي أن الصفة الأساس والصبغة الروحية السائدة على البشرية في العالم القديم تطورت حتى أنتجت ظاهرة النبوة الحاملة لأحكام وشرائع معدّة مسبقاً لأن يسير الناس على طبقها ، إذ قال : ((وفي طفولة البشرية تتطور القوة الروحانية إلى ما أسميه الوعي النبوي ، وهو وسيلة للإقتصاد في التفكير الفردي والإختيار الشخصي و ذلك بتزويد الناس بأحكام واختيارات وأساليب للعمل أعدّت من قبل))[١٢]، ويواصل ما ذكره مبيّناً المائز بين مرحلتين للبشرية فيذكر : ((ولكن الوجود أخذ بمولد العقل وظهور ملكة النقد والتمحيص))[١٣]، ويرى أن مولد الإسلام كان مولداً للعقل الإستدلالي إذ ذكر : ((أن نبي الإسلام يبدو أنه يقوم بين العالم القديم والعالم الحديث ، فهو من العالم القديم بإعتبار مصدر رسالته ، وهو من العالم الحديث باعتبار الروح التي انطوت عليها . فللحياة في نظره مصادر أخرى للمعرفة تلائم تجاهها الجديد . ومولد الإسلام ، [...] ، هو مولد العقل الإستدلالي .))[١٤]. ويقصد إقبال بالعقل الإستدلالي البرهان من خلال الملاحظة والتجربة ، أيّ المنهج التجريبي المستند إليهما ، فالملاحظة والتجربة هما أساس العلم وليس التفكير النظري المجرد[١٥].

وبما أن الإسلام وتعاليمه الواضحة في القرآن الكريم المصرّح بالدعوة إلى عالم الحسّ ، يظهر ثقافة حقيقية تمثل قواعد ثقافة حديثة بنظرة واقعية لاكتشاف أسرار الكون وجعل الطبيعة والتاريخ مصدرين مهمّين من مصادر المعرفة جنباً إلى جنب الرياضة الباطنية (التجربة الروحية) . لذا فإن هذا كاشف عن مولد مرحلة تاريخية للبشرية انمازت بها عن سابقتها القديمة التي اعتمدت إما التجربة الروحية أو التفكير الفلسفي النظري المجرد[١٦].

وربّ قائل يقول إن المنهج التجريبي بهذا المعنى هو من مستحدثات النهضة الاوربية الحديثة ، إلا أن إقبال يرى أن هذا زعم خاطيء و الصحيح عند التتبع التاريخي نجد أن

هذا المنهج لم ينتشر إنتشاراً واسعاً في اوربا إلا على يد من درس في الجامعات الإسلامية في الأندلس ، فكانت الثقافة الإسلامية هي المؤثرة في توجهاتهم التجريبية والتي نقلوها إلى الحضارة الاوربية الحديثة[١٧].

خلاصة القول ؛ يمكن إيجاز رؤية إقبال في فكرة ختم النبوة متسلسلة كالآتي :

١. من الناحية التاريخية يقسّم البشرية إلى عالم قديم وآخر حديث .
٢. ميزة العالم القديم أنه يعتمد على المعرفة الروحية بالرياضة الباطنية ، وإن كان في بعض مراحله أنتجت البشرية فلسفات بعيدة عن الواقع المحسوس ، ومعتمدة على الفكر النظري التجريدي .
٣. العالم الحديث ينماز عن القديم باعتماده على مصدرين آخرين للمعرفة هما ؛ الطبيعة والتاريخ ، ويعتمد على العقل الإستدلالي بمعنى المنهج التجريبي في البرهان.
٤. لا يظنّ أحد أن العقل المعتمد على منهج التجربة كان وليداً للحضارة الاوربية الحديثة ، بل روح الثقافة الإسلامية هي التي كانت تحث على نهج هذا السبيل العقلي .
٥. ولادة الإسلام كانت ولادة للعقل الإستدلالي ومنهج الاهتمام بالعالم المحسوس والتجربة ، وهذا يعني أن الرسالة الخاتمة تنطوي على عوامل وأسباب ختم النبوة وانقطاعها .

تلكم هي رؤية إقبال في ختم النبوة مستندة أساساً على تطور مفهوم العقل ، فكان للعقل التجريبي مركزية واضحة في رؤيته ، ولكنه مع هذا لم يرتضِ إحلاله محل التجربة الروحية ذات الارتباط بالشعور والوجدان ، إذ قال : ((ففكرة إنتهاء النبوة ينبغي ألا يفهم منها أنها تفترض أن مصير الحياة في النهاية هو إحلال العقل محل الشعور إحلالاً كاملاً . فمثل هذا ليس ممكناً ولا مرغوباً))[١٨].

وقد تباينت المواقف ووجهات النظر تجاه ما بيّنه إقبال في مسألة ختم النبوة ، مما أثار جدلاً واسعاً في الأوساط الفكرية الإسلامية[١٩]، الشيخ مرتضى مطهري[٢٠] (١٩١٩-١٩٧٩م) واحد من أولئك الذين وجّهوا نقدهم لهذه الرؤية ، معترضاً بأن هداية العقل التجريبي لا يمكن لها بأيّة حال أن تحلّ محلّ هداية الوحي ، لذا فجعل الملازمة بين ولادة العقل بمنهجه التجريبي وبين إنتفاء الحاجة لوحي ورسالة جديدين ماهو إلا تعبير عن

إنتهاء الحاجة إلى الوحي وهدايته ، وهذا إنتهاء وختم للدين وليس للنبوة وحدها[٢١]. ومع هذا يقرّ مطهري بإفادته من إقبال في موارد دقيقة وبموضوعات إسلامية مختلفة[٢٢].

وفي الواقع كان لإقبال تأثير واسع في الفكر الإسلامي المعاصر سواء أكان في فلسفته عن ختم النبوة أم غيرها ، لا سيما في إيران ، إذ عُرف إقبال أديباً ينظم الشعر باللغة الفارسية مما ساهم في حضوره بشكل واسع حتى من الناحية الفكرية [٢٣].

ثالثاً ــ رؤية مطهري في ختم النبوة

المحور الأساس في رؤية مطهري يتمثل في تصوره أن بلوغ البشرية من الناحية الفكرية والاجتماعية له مدخلية في خاتمية النبوة ، إذ نضج البشرية يمكنها من الأمور الآتية :

١. الحفاظ على الموروث الديني والكتاب السماوي وصيانته من التحريف والعبث ، فكأن البشرية في مراحل قبل النضوج والبلوغ ــ والتي يمكن تسميتها طفولة البشرية ــ تشبه إلى حدّ ما الطفل في تصرفاته وعدم تمكنه من الحفاظ على كتبه التعليمية ، بينما في مرحلة النضوج الفكري والاجتماعي أصبح البشر أكثر وعياً وأقدر على حفظ التراث الديني والإفادة منه[٢٤].
٢. الوصول إلى مرحلة التمكن من تلقي الشريعة المتكاملة دفعة واحدة ، فالشريعة أشبه ما تكون بخطة تكاملية ، والبشرية قبل نضوجها الفكري غير مؤهلة لتلقي خطة تكاملية لتعاليم السماء[٢٥].
٣. إقامة الدين وترويجه وتبليغه ، فالنمو الفكري والاجتماعي الحاصل في المجتمعات البشرية يمكنها من ممارسة عمل أولئك الأنبياء الذين كانوا يبلغون ويروجون لشريعة الأنبياء أصحاب الشرائع ، وقد سدّ علماء الأمة وصلحاؤها الحاجة إلى بعثة أنبياء مبلغون جدد[٢٦].
٤. تفسير كليات التعاليم الدينية وإرجاع الحالات الجزئية المتجددة إلى أصولها وقواعدها العامة ، مما يعطي للبشرية مرونة في استيعاب متغيرات الظروف الزمانية والمكانية ، وهذه أيضاً من مهام علماء الأمة فيما يُعرف بالاجتهاد والقدرة على استنباط الأحكام الشرعية[٢٧].

إن بلوغ البشرية من الناحية الفكرية بما يمكنها من القيام بالأمور الأربعة المتقدمة يبرر عدم الحاجة إلى وحي نبوي جديد وشريعة جديدة ، ولكن يبقى التساؤل الأهم ؛ كيف سيتم تبرير عدم الحاجة إلى قوانين تشريعية جديدة تتجدد إستجابة لحاجات البشر المتغيّرة ؟! .

يلتفت مطهري إلى هذا التساؤل ويقدّم بياناً ـ يبدو أنه الإضافة الأهم في صياغة رؤيته ـ مفصّلاً الكلام فيه من جوانب عدّة ، ولكن يمكن إيجاز ما يبدو عمدة الإجابة ، إذ قسّم حاجات البشر إلى نوعين ؛ حاجات أولية وحاجات ثانوية ، فالحاجات الأولية هي التي تكون ضرورية للإنسان من ناحية البنية البدنية والنفسية والاجتماعية ، من قبيل الحاجة للمتطلبات الغريزية مثل المأكل والمشرب والزوجة وما شاكلها من أمور المعاش الحياتية التي تقوّم البدن وبقاءه ، أما النفسية فهي من قبيل الحاجة إلى العلم والمعرفة والتربية والشعور بالإحترام ، وأما الاجتماعية فهي من قبيل الحاجة إلى التعاون والعدالة والحرية[٢٨]، وهذه الحاجات الأولية جميعها لا يصيبها التقادم وإنما هي حيّة جديدة دائماً ، ولكن الحاجات الثانوية التي تنشأ من جرّاء السعي لتلبية الحاجات الأولية فهي التي تتغيّر وتتجدد ، مثل الحاجة إلى آلات وأدوات المعيشة التي تختلف من عصر إلى آخر[٢٩].

وعلى أساس هذا التقسيم للحاجات يظهر جليّاً أن عوامل الحضارة التي تحدث تغييراً لا تستوجب تبديلاً في مجموعة الأحكام والتعاليم والتشريعات التي تتعلق بتنظيم التعامل والتعاطي مع متطلبات الحاجات الأولية ، مثل أحكام المعاملات التجارية و الإرث والزواج وغيرها من الأحكام المنظمة لعلاقة الإنسان بالآخر الإنساني ، فضلاً عن الأحكام المنظمة لعلاقة الإنسان بخالقه وعلاقته بالطبيعة ، فكلّ تلك الأحكام تمثل قانوناً ومعياراً لتشخيص العدالة في تأمين الحاجات . والتغيير الطاريء على الوسائل والأدوات التي تحتاج إليها البشرية لا يقتضي تغييراً في طريقة الحصول عليها بشكل عادل ، ما دام أن مفاهيم الحق والعدل والأخلاق مفاهيم بحقيقتها وذاتها غير نسبية بل ثابتة ، وما يتغيّر منها هو شكلها التنفيذي ومظهرها العملي[٣٠].

على الرغم من أهمية هذه الإضافة البيانية لرؤية مطهري يبدو لي أنها تحتاج إلى تتمة لتوضيح منتهى التكامل وطبيعته ، والحاصل إبان البعثة النبوية الشريفة لنبي الإسلام

(ﷺ) ، ولتفسير الحكمة من إنقطاع النبوة وختمها ، ولغرض تقديم صياغة جديدة متضمنة التتمة اللازمة لابدّ من ذكر مقدمات كما سيأتي .

رابعاً ــ مقدمات مهمة في فهم الخاتمية

١. الإنسان كائن اجتماعي ينماز عن سائر الكائنات الحيّة بالعقل وبالأخلاق معاً ، وليس بالعقل وحده ، فالعقل المجرد عن الأخلاق لا يكون مائزاً للإنسان عن غيره من الكائنات الحيّة ، وعلامة ذلك نجد أن غيره من المخلوقات الحيّة كافة لا تسعى إلى الصلاح في سلوكها مثلما تسعى إلى أسباب بقائها مستعملة في ذلك إدراكها الغريزي المناظر للعقل المجرد عن الأخلاقية ، لذا فإن العقلانية التي تنسب إلى الإنسان وتميّزه هي تلك التي تجعله الكائن الوحيد الذي يحاول السير في طريق الصلاح ، ومن المؤكد أنها العقلانية التابعة للأخلاقية[٣١].

وقد يكون أول من تنبّه إلى المعنى المتقدم الدكتور طه عبد الرحمن[٣٢] (١٩٤٤ م – معاصر) ذاهباً إلى أبعد من ذلك حين لم يعدّ الأخلاق من الكمالات الزائدة على أصل الهوية الإنسانية ، وإنما هي من ضرورات مقوّماتها ، مما يعني أن وجود الإنسان مصاحب لوجود الأخلاق وليس متقدّماً عليه ، فالوجودان متصاحبان معاً ، فما الأخلاق إلا إنسانية الإنسان ، وما الإنسانية إلا الأخلاق[٣٣].

٢. دلالة النبوي المشهور : ((إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق))[٣٤]

اشتهر الحديث النبوي الشريف بصيغته : ((إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)) وفي أقدم المصادر التي تذكر الحديث ورد بلفظ : (لأتمم حسن الخلق) ، وورد أيضاً بلفظ : (لأتمم صالح الأخلاق) ، ومهما كان فإن الألفاظ : (حسن الخلق ، صالح الأخلاق ، مكارم الأخلاق) تشير إلى معنى القيم الأخلاقية الفاضلة ، والإختلاف في الصيغ الواردة لا يؤثر في دلالة الحديث من جهة الربط بين البعثة النبوية الشريفة والغاية منها (إنما بعثت لأتمم) . فمن المعلوم على وفق قواعد النحو للغة العربية أن اللام هنا هي لام التعليل ، إذ تربط بين العلة ومعلولها (السبب والمسبب) فيكون ما بعدها سبباً أو غاية لحصول ما قبلها (المسبب) ، وعليه تكون دلالة الحديث على أن البعثة حاصلة لأجل إتمام القيم الأخلاقية الفاضلة .

وأيضاً من الثابت في علوم اللغة العربية أن الأداة (إنما) تفيد الحصر ، أي حصر الغاية من البعثة الشريفة بمسألة إتمام مكارم الأخلاق . ولكن لا يعني هذا أبداً اختزال الدين الأسلامي بالمسألة الأخلاقية ، بل يعني أن الأخلاق الفاضلة تمثل أس التعاليم الإسلامية وعنصرها الحاضر بقوة فيها ، والأصول الأخلاقية جوهر الشريعة ، فهي قواعد كلية تنطلق منها التشريعات ، وفي الوقت نفسه هي العلة الغائية للأحكام ولم يتم إيجاد التعاليم الشرعية إلا لأجل تحقيق البناء الأخلاقي الفاضل للفرد وللمجتمع وتحصيل السعادة في الدارين دار الدنيا والآخرة .

هذا من جهة دلالة الهيأة والتركيب في الجملة ، ومن جهة أخرى تتعلق بمادة الفعل (أُتمم) واسم مصدره (تمام) ، واسم الفاعل منه (تامّ) معناه يقابل الناقص ، فالتامّ ما اجتمعت أجزاؤه كلّها ولا يحتاج إلى شيء آخر خارج عنها لإظهار أصله ، أما التمام فهو اسم لآخر جزء يتم به أصل الشيء ، لذا قيل : إن التمام يفارق معنى الكمال إذ الثاني يعني اجتماع أجزاء الشيء بمجموعها أو أنه يطلق على الشيء بملاحظة إتصافه بمزيد صفات عارضة طارئة[٣٥].

والمحصّل من الدلالتين ــ دلالة الهيأة في تركيب جملة النبوي المشهور، ودلالة المادة في الفعل(أُتمم) ــ أن مكارم الأخلاق تنضج عند البشرية تدريجياً ، فكان سبب بعثته (ﷺ) هو إنضاجها وإيصالها إلى تمام النضوج الذي لا شيء وراءه لتحقيق الغاية المنشودة في بناء الإنسان بناء أخلاقياً فاضلاً .

٣. العقل العملي يُدرك القيم والأصول الأخلاقية العامة

تقرر في مباحث الفلسفة وعلم الكلام أن العقل العملي يُقصد به تلك القوة العاقلة في النفس الإنسانية التي تُدرك ما ينبغي وما لا ينبغي فعله ، أي القضايا المتعلقة بالسلوك والعمل ، وقد يُعبّر عنه بلغة الأخلاق المعاصرة بالضمير أو الوجدان الأخلاقي[٣٦]، لذا يمكننا القول إن العقل العملي يُدرك القيم والأصول الأخلاقية العامة بما لها من واقع قائم بنفسه ، ومن البداهة والوضوح ما يقضي به وجداننا بأن الأحكام المعيارية الأخلاقية مُدرَكات للعقل العملي وللوجدان الإنساني المجرد عن الشبهات والأوهام ، وعلى الرغم من أن القيم الأخلاقية وأصولها العامة أمور واقعية ثابتة ، يمرّ إدراكها

بمراحل سير تكاملي تبعاً لتطور ونضج الروابط والعلاقات الاجتماعية وآلية تنظيمها وضبط تشعباتها المختلفة ، فإنما القابل للتغيير والتطور في العقل العملي هو الإدراك الحاصل لما ينبغي أن يكون وليس مبدأ الإدراك والمعلوم نفسه . وعلى سبيل المثال ؛ فإن العقل العملي أدرك منذ بداية الوجود البشري أن إزهاق النفس الإنسانية بدافع الحسد أمر قبيح ينعكس أثره السلبي على صلاح الإنسانية ، ولكن يصعب تصوّر أنه أدرك قبح التطفيف في الكيل والميزان قبل أن تتطور العلاقات الاقتصادية وتتشعب معاملاتها داخل المجتمعات البشرية ، وهكذا يمكننا تصوّر عملية التكامل للعقل العملي عبر التطور الحضاري للمجتمعات البشرية .

٤. التعبير القرآني عن أوج الكمال الإنساني والأخلاقي للنبي الأكرم (ﷺ)

عند تتبع الآيات القرآنية التي تتحدث عن الرسول الأكرم (ﷺ) نجدها تعتني بإبداء الجانب الإنساني والأخلاقي في شخصيته الشريفة (ﷺ) ، منها قوله تعالى : ﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ﴾[٣٧]، وقوله سبحانه :﴿ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴾ [٣٨]، وأيضاً : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾[٣٩] ، ففي هذه الآيات الثلاث نرى تكراراً (للتلاوة ، التزكية ، تعليم الكتاب والحكمة) مع مراعاة تقديم التزكية على تعليم الكتاب والحكمة ، ولما كانت التزكية بمعنى التربية الأخلاقية بتهذيب النفوس وتطهيرها وتنميتها[٤٠] ، فما هذا التقديم إلا لبيان أولوية الجانب الأخلاقي والتربوي وأهميته التي تتقدم على التعليم ، وقد كان الرسول الأعظم (ﷺ) المثل الأعلى والقدوة الحسنة في تزكية أمته و الإهتمام ببنائها بناءً أخلاقياً فاضلاً ، هذا فضلاً عن سلوكه العملي في تطبيقه بذاته الشريفة محاسن الأخلاق ومكارمها ، وقد عبّر القرآن الكريم عن ذلك بقوله تعالى : ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ ﴾[٤١].

إلا إنه أبلغ تعبير قرآني عن صفة الكمال الأخلاقي للنبي الأكرم (ﷺ) قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴾[٤٢]، إذ لم يحظَ نبي أو رسول آخر بمثل هذا الوصف الدال على

قمة النضج الأخلاقي له (ﷺ) ، فكان حقاً الإنسان الكامل ومثال الإنسانية الكاملة بوعيها وسلوكها الأخلاقي .

خامساً ــ طبيعة منتهى التكامل والنضج البشري

بعد إمعان النظر في المقدمات السابقة يمكننا أن نخلص بنتيجة مفادها : إن طبيعة منتهى التكامل والنضج البشري التي تفسر الحكمة من خاتمية النبوة وتبرر عدم الحاجة إلى شريعة جديدة تتمثل بالتكامل والنضج الأخلاقي إدراكاً وسلوكاً ، إذ كانت شخصية النبي الأكرم خاتم الأنبياء (ﷺ) معبّرة عن ولادة فعلية زمانية متحققة (في واقع حياتنا الدنيا) للمصداق الأتم لمفهوم الإنسان الكامل ، فقد وصلت البشرية من خلال هذا المصداق إلى أقصى مراحل التكامل البشري ، وكلّ ما قيل عن التكامل البشري لا يبدو أن له تفسيراً أوضح من التفسير الأخلاقي للحديث عن طبيعة هذا التكامل .

ومع الالتفات إلى أن جوهر أحكام الشريعة وغاياتها السامية هو تنظيم الحياة البشرية بأصول وقواعد منسجمة مع الأصول والقواعد الأخلاقية العامة أو منبثقة عنها ، فإننا سندرك تماماً المغزى من عدم الحاجة إلى تشريع جديد ما دامت الشريعة المحمدية جاءت على وفق أعلى مستوى إدراك للقيم الأخلاقية وأتمّه ، آخذين بالحسبان ما أشار إليه مطهري من تفصيل بين حاجات البشر الأولية وبين الثانوية ، فالأولية ثابتة لا يطالها التغيير والتبدّل ، أما الثانوية فهي التي تتغير وتتبدل تبعاً للتغيير في الوسائل والأدوات ــ على التفصيل المارّ آنفاً ــ تغييراً تقتضيه عوامل الحضارة وتقدّمها إلا إنه لا يستلزم تغييراً في الأحكام الأخلاقية والشرعية التي تعنى بتنظيم وضبط عمليات التعاطي مع الحاجات الأولية .

خاتمة

لا يخفى أن التسليم بحصول التطور والمسيرة التكاملية للبشرية جمعاء لا يكفي وحده لتقديم فهم دقيق عن الحكمة في انقطاع النبوة وختمها ، بل لابدّ من معرفة طبيعة النضج الذي وصلت إليه البشرية ، وهذا صلب المسألة وقوامها ، ويمكننا القول إن عمدة هذه الرؤية التي حاول البحث بيانها هو تفسير النضج والتكامل البشري بأنه تكامل في إدراك العقل العملي للنوع البشري والمتحقق في مصداقه الأكمل والأتمّ الرسول الأكرم (ﷺ) .

ولكن في الختام لابدّ من التنويه بأمرين :

١. إن ربط مفهوم الخاتمية بفهم طبيعة التكامل على أنه تكامل أخلاقي لا يعني أبداً اختزال لإحكام الشريعة بالمسألة الأخلاقية ، أو إحلال للحسّ الأخلاقي محلّ النص الديني في التشريع ، إذ لم يكن المقصود أبداً أن البشرية لا تحتاج إلى تشريع جديد بوصف أن أفرادها قادرون على معرفة الأحكام وسبل هدايتهم من خلال وعيهم الأخلاقي ، بل المقصود أن تطور وتعقيد تشابك الأنظمة الاحتماعية للبشرية قد وصل إلى أعلى مستوياته بما يتعلق بالحاجات الأولية لأفراد وجماعات البشر ، وهذا لا يستوجب إيجاد تشريع جديد ، هذا فضلاً عن أن المقصود بتطور إدراكات العقل العملي هو ذلك التطور المصاحب للتطور الحضاري و الاجتماعي والذي وصل إلى قمته العليا عند فرد كان مصداقاً للإنسانية الكاملة عالياً سامياً بخلقه لا يدانيه في نقاء فطرته السليمة أيّ فرد آخر من أفراد الإنسانية ، لذا فإن الإحساس الأخلاقي عند كلّ فرد من الإنسانية ليس بالضرورة أن يكون مدركاً للحكمة من تشريع الأحكام سواء أكانت الأحكام المتعلقة بتنظيم علاقة الفرد بالآخرين أم المتعلقة بتنظيم علاقته بخالقه سبحانه ، وعليه لا تكون المسألة الأخلاقية بديلاً عن النص الديني في التشريع ، وأفراد البشرية المعاصرون للبعثة النبوية الشريفة مع أولئك الذين سيوجدون بعدهم في ذلك سيان .

٢. لا بدّ من التمييز بين ختم النبوة وبين استمرار الهداية الإلهية ودوام اتصال البشرية بالهدي الإلهي ، إذ لا ملازمة بينهما ، ما دام أن الهداية ليست بالضرورة أن تكون ببعثة نبي جديد أو برسالة جديدة ، وهذا أمر واضح على مبنى الإمامية باعتقادهم أن الإمامة امتداد للنبوة من جهة الهداية الإلهية وأن وظيفة الإمام هي ذات وظيفة النبي في إرشاد البشرية إلى سبل هدايتها ، إلا إن الإمام ليس نبياً ولا يتلّقى شريعة جديدة .

هوامش البحث

١ . ينظر : بن زكريا ، أبو الحسين أحمد بن فارس ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، معجم مقاييس اللغة ، ج٢ ، مكتبة الاعلام الإسلامي ، قم ، ١٤٠٤ هـ ، ص٢٤٥ ، وأيضاً :

العسكري ، أبو هلال ، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق مؤسسة النشر الإسلامي ، ط١ ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، ١٤١٢ هـ ، ص٢١٢ ، وأيضاً : الطريحي ، تحقيق أحمد الحسيني ، مجمع البحرين ، ج١ ، ط٢ ، مكتبة النشر للثقافة الإسلامية ، ص ٦٢٢.

٢ . سورة الأحزاب ، آية ٤٠ .

٣ . ينظر : المصطفوي ، حسن ، التحقيق في كلمات القرآن الكريم ، ج٣ ، مركز نشر آثار العلامة المصطفوي ، طهران ، ١٣٩٣ هـ ، ص٢٧.

٤ . ينظر : المصباح ، محمد تقي ، ترجمة محمد عبد المنعم الخاقاني ، النبوة في القرآن ، ط١ ، الناشر الفقاهة ، قم ، ١٤٢٦ هـ ، ص٢٧٩ .

٥ . البخاري ، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ، صحيح البخاري ، ج٥ ، دار الفكر للطباعة والنشر ، ١٩٨١ م ، ص ١٢٩ ، وذكر فيه : (إلا أنه ليس نبي بعدي) . وأيضاً : النيسابوري ، مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري ، صحيح مسلم ، ج٧ ، دار الفكر ، بيروت – لبنان ، ص١٢٠ ، وذكر فيه : (إلا أنه لا نبي بعدي ، غير أنه لا نبي بعدي ، إلا أنه لا نبوة بعدي) . وأيضاً : القمي ، علي بن إبراهيم ، تصحيح وتعليق وتقديم السيد طيب الموسوي الجزائري ، تفسير القمي ، ج١ ، منشورات مكتبة الهدى ، مطبعة النجف ، ١٣٨٦هـ ، ص٢٩٣ . وعن الإمام علي (عليه السلام) في خطبة له في صفين قال : ((ثم قال لي يا علي ، أنت مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي ....)) الصدوق ، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي ، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية ، الأمالي ، ط١ ، مؤسسة البعثة ، قم ، ١٤١٧ هـ ، ص٤٩١ .

٦ . ينظر : قراملكي ، محمد حسن قدردان و غلام حسن محرمي ، ترجمة السيد حسن علي مطر الهاشمي ، أجوبة الشبهات الكلامية ، ج٣ ، ط١ ، دار الكفيل ، ٢٠١٦ ، ص٢٠١ .

٧ . ينظر : السبحاني ، جعفر ، مفاهيم القرآن ، ج٣ ، ط١ ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ـ لبنان ، ٢٠١٠ ، ص ١٦٧ وما بعدها ، وص١١٨ ، وص١٢٣ .

٨ . ينظر : السبحاني ، جعفر ، مفاهيم القرآن ، ج٣ ، ص٢١٥ وص٢١٦ .

٩ . ينظر : المصباح ، محمد تقي ، النبوة في القرآن ، ص٢٨٥ .

١٠ . سورة الأنعام ، آية ١٢٤ .

١١ . هو محمد إقبال بن الشيخ محمد نور ، ولد في مدينة سيالكوت من ولاية بنجاب الهندية عام ١٨٧٧م ، تخرّج في جامعة سيالكوت ثم أتم دراسته للفلسفة في مدينة لاهور ، وحصل على الماجستير من الجامعة ذاتها ، ثم انتقل الى جامعة كامبردج البريطانية ونال الماجستير في القانون والاقتصاد ، ثم انتقل إلى ألمانيا ليحصل على الدكتوراه في الفلسفة من جامعة ميونخ ، و هو الأب الروحي لباكستان إذ خطط لانفصال مسلمي الهند بدولة أسماها باكستان ، وعُرف أيضاً بالشعر والأدب ، فكان فيلسوفاً وشاعراً ، ويعدّ من شخصيات الإصلاح الديني في العصر الحديث ، توفي في عام ١٩٣٨ م في مدينة لاهور التي هي حالياً ضمن دولة باكستان . (راجع : عزّام ، عبد الوهاب ، محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة . وأيضاً : فتوح ، محمد ، محمد إقبال فيلسوف الإسلام وشاعره في الهند ، مقال كتبه في ٢٢/ ٧ / ٢٠١٨ على موقع الجزيرة الإلكتروني www.aljazeera.net/midan) .

١٢ . إقبال ، محمد ، ترجمة عباس محمود ، تجديد التفكير الديني في الإسلام ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٥ ، ص١٤٣.

١٣ . المصدر نفسه ، ص ١٤٣ .

١٤ . المصدر نفسه ، ص١٤٤ .

١٥ . ينظر : المصدر نفسه ، ص١٤٨ .

١٦ . ينظر : المصدر نفسه ، ص١٤٦ – ١٤٨ .

١٧ . ينظر : المصدر نفسه ، ص١٤٨- ١٥٠ .

١٨ . المصدر نفسه ، ص١٤٥ .

١٩ . ينظر : الميلاد ، زكي ، الإسلام والعقلانية ضد الجمود و ضد الاستلاب ، ط١ ، منشورات ضفاف ، لبنان ، ٢٠١٤ ، ص ١٠٤ .

٢٠ . هو مفكر إسلامي إيراني معاصرومن أبرز تلامذة العلامة محمد حسين الطباطبائي المفسر والفيلسوف الإسلامي ، وقد تميّزت أعمال مطهري بحسن البيان وسهولة العبارة ، وله سلسلة من المؤلفات العقائدية وكذلك مجموعة من المؤلفات في الفلسفة الإسلامية وشروحها ، وكان أستاذاً في كلية الإلهيات بجامعة طهران ، ويعدّ من رجال الثورة الإسلامية البارزين والتي نجحت في عام ١٩٧٩ ولكنه اغتيل في السنة نفسها على يد متطرفين ، فكان أول شهيد

في الثورة . (راجع : محمدي ، مجيد ، ترجمة ص. حسين ، مراجعة صادق العبادي ، اتجاهات الفكر الديني المعاصر في إيران ، ط١ ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي مع الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت ، ٢٠١٠ ، ص١٠١ .) .

٢١ . ينظر : مطهري ، مرتضى ، محمد وعلي النبي والإمام ، كتاب الوحي والنبوة ، سلسلة تراث وآثار الشهيد مرتضى مطهري ، ط١ ، دار الارشاد ، بيروت ــ لبنان ، ٢٠٠٩ ، ص ١٧٧ .

٢٢ . ينظر : المصدر نفسه ، ص ١٧٣ .

٢٣ . ينظر : الميلاد ، زكي ، الإسلام والعقلانية ، ص١٠٥ .

٢٤ . ينظر : مطهري ، مرتضى ، محمد وعلي النبي والإمام ، كتاب الوحي والنبوة ، ص١٧٢ ، وأيضاً : مطهري ، مرتضى ، ترجمة عبد الكريم محمود ، ختم النبوة ، دار المحجة البيضاء ، ص١٢ .

٢٥ . ينظر : مطهري ، مرتضى ، محمد وعلي النبي والإمام ، كتاب الوحي والنبوة ، ص١٧٢ .

٢٦ . ينظر : مطهري ، مرتضى ، محمد وعلي النبي والإمام ، كتاب الوحي والنبوة ، ص١٧٣ ، وأيضاً : مطهري ، ختم النبوة ، ص١٢ و٤١ .

٢٧ . ينظر : مطهري ، مرتضى ، محمد وعلي النبي والإمام ، كتاب الوحي والنبوة ، ص١٧٣ .

٢٨ . ينظر : مطهري ، ختم النبوة ، ص ٥٥ .

٢٩ . ينظر : مطهري ، ختم النبوة ، ص ٥٥ و ٥٩ .

٣٠ . ينظر : المصدر نفسه ، ص ٥٦ و٥٧ .

٣١ . عبد الرحمن ، د. طه ، سؤال الأخلاق (مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية) ، ط١ ، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء ــ المغرب ، ٢٠٠٠ ، ص ١٤ .

٣٢ . هو فيلسوف ومفكر مغربي ولد عام ١٩٤٤ م في مدينة الجديدة المغربية والواقعة على ساحل المحيط الأطلسي ، وقد درس بداية على يد والده الذي كان يُدرس العلوم الشرعية بالطريقة التقليدية ، ثم درس في المدارس العصرية وتدرّج حتى حاز على الدكتوراه من السوربون عام ١٩٨٥ ، مارس التدريس في جامعات مغربية وعربية ، اتخذ في كتاباته اسلوباً تجديدياً في قضايا الفكر الإسلامي المعاصر ، وقد اتسم مشروعه بالطابع الإسلامي بعد أن تشبّع بتربية تقليدية في بداية مشواره ثم تلقى تربية حديثة وبين الأمرين اختط طريقه مفكراً ذا ملامح لها

بُعد روحي صوفي وله نزعة فلسفية إبداعية ترفض محاكاة ومجاراة الحداثة الغربية . (راجع : مشروح ، د. إبراهيم ، تدقيق محمد دكير ، طه عبد الرحمن قراءة في مشروعه الفكري ، ط١ ، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي ، بيروت ، ٢٠٠٩ ، ص ٢٧-٤٢ .) .

٣٣ . ينظر : عبد الرحمن ، طه ، سؤال الأخلاق ، ص ٥٤ .

٣٤ . ذكره مالك (ت ١٧٩هـ) في الموطأ بلفظ : (إنما بعثت لأتمم حسن الخلق) راجع : بن مالك ، مالك بن أنس ، تصحيح وتعليق محمد فؤاد عبد الباقي ، كتاب الموطأ ، ج ٢ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، ١٩٨٥ ص ٩٠٤ .وفي مسند ابن حنبل (ت٢٤١هـ) ورد بلفظ (إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق) راجع : ابن حنبل ، حققه ووضع حواشيه ورقم أحاديثه محمد عبد القادر عطا ، مسند ابن حنبل ، ج٤ ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ٢٠٠٨ ، ص ٤٥٤ حديث ٩١٨٧ . ووجدته في الأدب المفرد للبخاري (ت٢٥٦هـ) بلفظ : (إنما بعثت لأتمم صالحي الأخلاق) راجع : البخاري ، محمد بن إسماعيل ، تحقيق وتعليق محمد فؤاد عبد الباقي ، الأدب المفرد ، المطبعة السلفية ومكتبتها ، القاهرة ، ١٣٧٥هـ ، ص ٧٨ . وأما البيهقي (ت٤٥٨هـ) فهو الذي ذكره بصيغته المشهورة : (لأتمم مكارم الأخلاق) راجع : البيهقي ، أبو بكر أحمد بن الحسين ، السنن الكبرى ، ج ١٠ ، ط١ ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن ، الهند ، ١٣٥٥هـ ، ص ١٩٢ .

وقد ذكره أيضاً بالصيغة المشهورة الطبرسي (من أعلام الإمامية ت ٥٤٨ ه) مرسلاً من دون سند ، وذلك في معرض تفسيره لآية ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم / ٤) . راجع : الطبرسي ، أمين الإسلام أبو علي الفضل بن الحسن ، مجمع البيان في تفسير القرآن ، ج١٠ ، ط١ ، دار المرتضى ، بيروت – لبنان ، ٢٠٠٦ ، ص٦٦ . وذكره ابنه (الطبرسي صاحب كتاب مكارم الأخلاق ، من أعلام الإمامية في القرن السادس الهجري) أيضاً بالصيغة المشهورة وكذلك مرسلاً فراجع : الطبرسي ، رضي الدين أبو نصر الحسن بن الفضل ، مكارم الأخلاق ، مكتبة الألفين ، الكويت ، بلا تاريخ ، ص١٠ .

٣٥ . ينظر : العسكري ، ابو هلال ، معجم الفروق اللغوية ، تنظيم: الشيخ بيت الله بيات ومؤسسة النشر الإسلامي ، تحقيق مؤسسة النشر الإسلامي ، ط١ ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة ، ١٤١٢ هـ ، ص٤٥٨ .

٣٦ . ينظر : سند ، محمد ، العقل العملي (دراسات منهجية في الحسن والقبح العقليين والبرهان في الجزئيات والإدراكات الاعتبارية) ، ط١ ، مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر ، لبنان ـ بيروت ، ١٤١٨ هـ ، ص ٣٤٠ . وينظر أيضاً : الريشهري ، محمد ، بمساعدة رضا برنجكار و عبد الهادي المسعودي ، موسوعة العقائد الإسلامية ، تحقيق مركز البحوث ، تعريب صلاح الصاوي وخليل العصامي ، ج١ ، ط١ ، دار الحديث ، إيران ـ قم ، ١٤٢٥ هـ ، ص١٦٤ وما بعدها .

٣٧ . البقرة / ١٥١

٣٨ . آل عمران / ١٦٤

٣٩ . الجمعة / ٢

٤٠ . ينظر : الطباطبائي ، محمد حسين ، الميزان في تفسير القرآن ، ج ١٩ ، ط١ ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ــ لبنان ، ١٩٩٧ ، ص ٢٧٦ .

٤١ . الأحزاب / ٢١

٤٢ . القلم / ٤

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبتديء به القرآن الكريم

أولا – الكتب المطبوعة :

١. إقبال ، محمد ، ترجمة عباس محمود ، تجديد التفكير الديني في الإسلام ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٥ .

٢. البخاري ، محمد بن إسماعيل ، تحقيق وتعليق محمد فؤاد عبد الباقي ، الأدب المفرد ، المطبعة السلفية ومكتبتها ، القاهرة ، ١٣٧٥هـ .

٣. البخاري ، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ، صحيح البخاري ، ج٥ ، دار الفكر للطباعة والنشر ، ١٩٨١ م .

٤. البيهقي ، أبو بكر أحمد بن الحسين ، السنن الكبرى ، ج ١٠ ، ط١ ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن ، الهند ، ١٣٥٥هـ .

٥. ابن حنبل ، حققه ووضع حواشيه ورقم أحاديثه محمد عبد القادر عطا ، مسند ابن حنبل ، ج٤ ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ٢٠٠٨ .

٦. الريشهري ، محمد ، بمساعدة رضا برنجكار و عبد الهادي المسعودي ، موسوعة العقائد الإسلامية ، تحقيق مركز البحوث ، تعريب صلاح الصاوي وخليل العصامي ، ج١ ، ط١ ، دار الحديث ، إيران ـ قم ، ١٤٢٥ هـ .
٧. بن زكريا ، أبو الحسين أحمد بن فارس ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، معجم مقاييس اللغة ، ج٢ ، مكتبة الاعلام الإسلامي ، قم ، ١٤٠٤ ه .
٨. السبحاني ، جعفر ، مفاهيم القرآن ، ج٣ ، ط١ ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ــ لبنان ، ٢٠١٠
٩. سند ، محمد ، العقل العملي (دراسات منهجية في الحسن والقبح العقليين والبرهان في الجزئيات والإدراكات الاعتبارية) ، ط١ ، مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر ، لبنان ـ بيروت ، ١٤١٨ هـ .
١٠. الصدوق ، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي ، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية ، الأمالي ، ط١ ، مؤسسة البعثة ، قم ، ١٤١٧ ه .
١١. الطباطبائي ، محمد حسين ، الميزان في تفسير القرآن ، ج ١٩ ، ط١ ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ــ لبنان ، ١٩٩٧ .
١٢. الطبرسي ، أمين الإسلام أبو علي الفضل بن الحسن ، مجمع البيان في تفسير القرآن ، ج١٠ ، ط١ ، دار المرتضى ، بيروت – لبنان ، ٢٠٠٦ .
١٣. الطبرسي ، رضي الدين أبو نصر الحسن بن الفضل ، مكارم الأخلاق ، مكتبة الألفين ، الكويت ، بلا تاريخ .
١٤. الطريحي ، تحقيق أحمد الحسيني ، مجمع البحرين ، ج١ ، ط٢ ، مكتبة النشر للثقافة الإسلامية .
١٥. عبد الرحمن ، د. طه ، سؤال الأخلاق (مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية) ، ط١ ، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء ــ المغرب ، ٢٠٠٠ .
١٦. عزّام ، عبد الوهاب ، محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، بلا تاريخ .

١٧. العسكري ، ابو هلال ، معجم الفروق اللغوية ، تنظيم: الشيخ بيت الله بيات ومؤسسة النشر الإسلامي ، تحقيق مؤسسة النشر الإسلامي ، ط١ ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة ، ١٤١٢ هـ .
١٨. قراملكي ، محمد حسن قدردان و غلام حسن محرمي ، ترجمة السيد حسن علي مطر الهاشمي ، أجوبة الشبهات الكلامية ، ج٣ ، ط١ ، دار الكفيل ، ٢٠١٦ .
١٩. القمي ، علي بن إبراهيم ، تصحيح وتعليق وتقديم السيد طيب الموسوي الجزائري ، تفسير القمي ، ج١ ، منشورات مكتبة الهدى ، مطبعة النجف ، ١٣٨٦هـ .
٢٠. بن مالك ، مالك بن أنس ، تصحيح وتعليق محمد فؤاد عبد الباقي ، كتاب الموطأ ، ج ٢ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، ١٩٨٥ .
٢١. محمدي ، مجيد ، ترجمة ص. حسين ، مراجعة صادق العبادي ، اتجاهات الفكر الديني المعاصر في إيران ، ط١ ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي مع الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت ، ٢٠١٠ .
٢٢. مشروح ، د. إبراهيم ، تدقيق محمد دكير ، طه عبد الرحمن قراءة في مشروعه الفكري ، ط١ ، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي ، بيروت ، ٢٠٠٩ .
٢٣. المصباح ، محمد تقي ، ترجمة محمد عبد المنعم الخاقاني ، النبوة في القرآن ، ط١ الناشر الفقاهة ، قم ، ١٤٢٦ ه .
٢٤. المصطفوي ، حسن ، التحقيق في كلمات القرآن الكريم ، ج٣ ، مركز نشر آثار العلامة المصطفوي ، طهران ، ١٣٩٣ هـ .
٢٥. مطهري ، مرتضى ، محمد وعلي النبي والإمام ، كتاب الوحي والنبوة ، سلسلة تراث وآثار الشهيد مرتضى مطهري ، ط١ ، دار الارشاد ، بيروت ـ لبنان ، ٢٠٠٩ .
٢٦. مطهري ، مرتضى ، ترجمة عبد الكريم محمود ، ختم النبوة ، دار المحجة البيضاء .
٢٧. الميلاد ، زكي ، الإسلام والعقلانية ضد الجمود و ضد الاستلاب ، ط١ ، منشورات ضفاف ، لبنان ، ٢٠١٤ .
٢٨. النيسابوري ، مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري ، صحيح مسلم ، ج٧ ، دار الفكر ، بيروت – لبنان .

ثانيا - المواقع الإلكترونية :

٢٩. فتوح ، محمد ، محمد إقبال فيلسوف الإسلام وشاعره في الهند ، مقال كتبه في ٢٢/ ٧ / ٢٠١٨ على موقع الجزيرة الإلكتروني www.aljazeera.net/midan) .